

أحلام، جبال، ولكن!!!

تأليف: ماري مطر

رسم: علي الزيني

أحْلام، خَيال، وَلكِن!!!

تأليف: ماري مطر
رسم: علي الزيني



ما مِنْ إنْسانٍ لا يَحْلُم. ولَكِنْ أنْ يَكونَ كُلُّ ما في حَياتِهِ مَبْنِيًّا عَلى الأحْلام، فَهذا أمْرٌ غَريبٌ ونادِرٌ!

«رَشيد»، الفَتى الحالِم، بَلَغَ الثّامِنَةَ مِنْ عُمْرِه،



وهُوَ لا يَنْفَكُّ يَذْهَبُ بِأفْكارِهِ إلى آفاقٍ أبْعَدَ مِنَ المَأْلوف. فَهُوَ دائِمًا يُبْهِرُ مَنْ حَوْلَهُ بِمُخَيِّلَتِه، بِخاصَّةٍ مُعَلِّمَتُهُ الَّتي تُسَمّيهِ «الحالِم».

أخْبارُهُ كُلُّها خَيالِيَّةٌ، وكُلُّ مَوْضوعٍ تَطْلُبُ المُعَلِّمَةُ الكِتابَةَ عَنْه، يُحَوِّلُهُ إلى حُلُمٍ أوْ أمْرٍ خَيالِيٍّ! بِالنِّسْبَةِ إلَيْهِ هُوَ لا يَسيرُ عَلى الطَّريق، بَلِ الطَّريقُ هُوَ الَّذي يَسيرُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ لِيوصِلَهُ إلى المَنْزِلِ أوْ أيِّ مَكانٍ. وشَعْرُ رَأْسِهِ كَالمَزْروعاتِ يَسْقيهِ ماءً حَتّى يَنْمو. وحَياتُهُ كَالسّينِما، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ بَطَلُ حِكايَةٍ جَديدَةٍ يَعيشُها ويَفْرِضُها عَلى غَيْرِه.

هَلْ تُصَدِّقُ أنَّ لِلغُيومِ مَوْسِمَ حَصادٍ؟! إلَيْكَ ما كَتَبَهُ «رَشيد» عَنْ سَبَبِ تَكَوُّنِ الغُيومِ وسَبَبِ هُطولِ الأمْطار: «إنَّهُ مَوْسِمُ الغُيومِ الَّتي تَنْبُتُ مِنْ

مَزْروعاتِ الحُقول، وتَأْتيها الطُّيورُ والفَراشاتُ لِتَحْمِلَها إلى أعالي السَّماء، وهُناكَ تَتْرُكُها لِلهَواءِ يَلْعَبُ بِها كَما يَشاء، إلى أنْ تَغْضَبَ مِنْه، فَتَمْتَلِئُ دُموعًا تَنْثُرُها عَلى الأرْضِ فَوْقَ المَزْروعاتِ وفَوْقَ المَخْلوقات».

يا لَها مِنْ أفْكارٍ غَريبَةٍ لَكِنَّها مُضْحِكَةٌ! حَيْثُما يَذْهَبُ «رَشيد»، يُشارِكُ الآخَرينَ بِما لَدَيْهِ مِنْ أحْلامٍ... يُفاجَؤونَ ويَفْرَحونَ ويَتَفاءَلونَ لِأنَّها غالِبًا ما تَكونُ مَحَطَّ فَرَحٍ وأمَلٍ لِمَنْ يَسْمَعُها.

ذاتَ صَباحِ يَوْمٍ دِراسِيٍّ عادِيٍّ، اتَّصَلَ بِـ«رَشيد» صَديقُهُ مُتَذَمِّرًا مِنْ تَأَخُّرِ حافِلَةِ المَدْرَسَة. فَحَلَّقَ «رَشيد» بِأفْكارِهِ قائِلًا: «لا تَخَفْ يا صَديقي، سَأُنادي النَّسْرَ صاروخ لِيَحْمِلَني

عَلى جَناحٍ وأنْتَ عَلى الآخَر، ويَأْخُذَنا إلى المَدْرَسَة»... ولَمْ يُنْهِ حُلُمَهُ حَتّى صَرَخَ الصَّديق: «تَوَقَّفْ عَنِ الأحْلام، واَطْلُبْ إلى أُمِّكَ أنْ توصِلَنا، وإلّا سَنَحْصَلُ إلى إنْذارٍ».



أسْرَعَ «رَشيد» إلى أُمِّهِ لِيُخْبِرَها بِطَريقَتِهِ الحالِمَةِ عَنْ تَأخُّرِهِ قائِلًا: «مُكَعَّباتٌ غَريبَةٌ تُعَرْقِلُ الطَّريق، وعَقارِبُ السّاعَةِ مُتَوَتِّرَةٌ مُهَرْوِلَةٌ، تُنادي النّاس: لَنْ أرْحَمَكُم، هيّا اِلحَقوا بي!».



وفي شِدَّةِ حَماسَتِهِ وانْفِعالِه، قاطَعَتْهُ أُمُّه: «أوْقِفْ أحْلامَك، وأسْرِعْ إلى المَدْرَسَة... ألَمْ تتَأخَّر؟! هَيّا بِنا».

أسْرَعَ «رَشيد» وَراءَ أُمِّهِ وهُوَ يُكْمِلُ حُلُمَهُ صارِخًا: «أيَّتُها العَقارِبُ سَأُسابِقُكِ وأسْبِقُكِ... اِنْتَظِرينا!».

مَرَّتْ ساعاتُ الدَّرْسِ ودُقَّ جَرَسُ العَوْدَةِ إلى البَيْت. وكَالعادَة، لَمْ يُعْفِ «رَشيد» أحْدًا مِنْ أحْلامِهِ، حَتّى المُعَلِّمين. وقَرَّرَ العَوْدَةَ إلى البَيْتِ سَيْرًا عَلى الأقْدامِ لِأنَّهُ يَشْعُرُ بِطاقَةٍ هائِلَةٍ في عَرْضِ أحْلامِهِ عَلى الجَميع. فَوَدَّعَ رِفاقَهُ قائِلًا: «سَيَتَواضَعُ المَلِكُ رَشيد اليَوْم، ويَذْهَبُ سَيْرًا عَلى الأقْدامِ لِيَتَفَقَّدَ شَعْبَه... إلى اللِّقاءِ يا حُرّاسي!».

وبَيْنَما كانَ خارِجًا مِنْ بَوّابَةِ المَدْرَسَة، نَظَرَ إلى الحاجِبِ* وقال لَه: «اِنْتَبِهْ جيِّدًا إلى مَمْلَكَتي حَتّى عَوْدَتي... التَّقْصيرُ مَمْنوعٌ». ثُمَّ أدارَ ظَهْرَهُ وتابَعَ سَيْرَه، وهُوَ يَتَأَمَّلُ الحَياةَ مِنْ حَوْلِه، ويَنْظُرُ إلى النّاسِ الَّذينَ يَلْتَقي بِهِم.

لَفَتَ نَظَرَ «رَشيد» بائِعُ العِلْكَةِ الَّذي لا يُقَدِّرونَ الجَميعُ جُهودَه، فَقالَ لَهُ وبِكُلِّ ثِقَةٍ: «أحْسَنْتَ عَمَلًا يا بائِعَ العِلْكَة، يُعْجِبُني نَشاطُكَ ومُثابَرَتُكَ في بَيْعِ هَذا المُنَشِّطِ والمُسَلّي لِأُناسٍ يَمَلّونَ داخِلَ مُكَعَّباتِهِمِ الآلِيَّةِ وهُمْ يَصْطَفّونَ مُنْتَظِرينَ ضَوْءًا أخْضَرَ كَيْ يَسْمَحَ لَهُمْ بِالمُرور. بِصِفَتي مَلِكًا على هَذا الحَيّ، أُعْلِنُكَ حارِسًا لِهَذا الطَّريقِ ومُساعِدًا لِسُكّانِه.

*الحاجِب: الحارِسُ أوِ النّاطور.

لَمْ يَسْتَوْعِبْ بائِعُ العِلْكَةِ كَلامَ «رَشيد»، لَكِنَّهُ أُعْجِبَ بِخَيالِهِ وتَقْديرِهِ لَه، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُلْبَةَ عِلْكَةٍ قائِلًا وهُوَ يَنْحَني: «تَفَضَّلْ يا سَيِّدي واَقْبَلْ مِنّي هَذِهِ الهَدِيَّةَ المُتَواضِعَة».



لَمْ يَقْبَلْ «رَشيد» الهَدِيَّةَ مِنْ دونِ أنْ يُسَدِّدَ ثَمَنَها،
فُهُوَ لا يَقْبَلُ اسْتِغْلالَ الشَّعْبِ الضَّعيفِ والفَقير.



تابَعَ «رَشيد» سَيْرَهُ فَإذْ بِسَيّارَةِ الإسْعافِ تَنْقُلُ فَتًى إلى المُسْتَشْفى بَعْدَ اصْطِدامِهِ بِعَمودِ المَرْمى بِقُوَّةٍ وهُوَ يُحاوِلُ صَدَّ الكُرَة، فَنَزَفَ رَأْسُهُ دَمًا.

رَأى «رَشيد» الفَتى يَبْكي خَوْفًا، فَصَرَخَ بِصَوْتٍ عالٍ وأعْلَنَ بِكُلِّ فَخْرٍ: «يا لَكَ مِنْ جُنْدِيٍّ شُجاعٍ يَحْمي شَعْبَهُ وأرْضَهُ بِدَمِه... دَمُكَ هَذا غالٍ عَلَيّ، لا تَبْكِ يا صَديقي!».

سَمِعَهُ النّاسُ المُحيطونَ بِالمَكان، فَصَفَّقوا لَهُ مُعْتَقِدينَ أنَّهُ يُحاوِلُ التَّخْفيفَ عَنِ الصَّبِيّ. وتَوَقَّفَ الصَّبِيُّ عَنِ البُكاءِ وراحَ يَشْعُرُ بِالفَخْرِ عَلى الرَّغْمِ مِنْ آلامِه، وذَهَبَ إلى المُسْتَشْفى باسِمًا مُرْتاحًا بَعْدَما شَكَرَ «رَشيد».

«رَشيد» المَلِكُ الحالِمُ تابَعَ طَريقَهُ بِزَهْوٍ وهُوَ يَنْشُرُ الفَرَحَ والتَّفاؤُلَ حَوْلَه... وما هِيَ إلّا لَحَظاتٌ قَليلَةٌ، حَتّى رَأى عَجوزًا تَعْرُجُ حامِلَةً أكْياسَ الخُضارِ والفَواكِهِ وهِيَ تَعْبُرُ الطَّريقَ بِثِقْلٍ ومُعاناةٍ. رَكَضَ عابِرًا نِصْفَ الطَّريق، وأوْقَفَها وأوْقَفَ السَّيْرَ صارِخًا: «بِاسْمِ المَلِكِ تَوَقّفوا، ألا يوجَدُ بَيْنَكُمْ رَجُلٌ شَهْمٌ يَرْأفُ بِهَذِهِ الجَدَّةِ ويُساعِدُها، عَيْبٌ عَلَيْكُم!».

صَحيحٌ أنَّ النّاسَ فوجِؤوا بِمَوْقِفِهِ واسْتِعْمالِهِ لَقَبَ «المَلِك»، لَكِنَّهُمْ أدْرَكوا أنَّهُ مُحِقٌّ، فَهَمَّ بَعْضُهُمْ لِلمُساعَدَة، ومِنْهُمْ مَنْ تَأثَّرَ بِكَلامِهِ فَساعَدوا عَجَزَةً آخَرين.

اقْتَرَبَتِ العَجوزُ مِن «رَشيد»، وشَكَرَتْهُ وقَدَّمَتْ

إِلَيْهِ تُفّاحَةً عُرْبونَ شُكْرٍ. فَرِحَ «رَشيد» بِالتُّفّاحَة،
وشَكَرَ العَجوزَ وراحَ يُتابِعُ حُلُمَهُ في مَمْلَكَتِه.



ومِنْ دونِ انْتِباهٍ، تَعَثَّرَتْ قَدَمُهُ بِدولابِ كُرْسِيٍّ بِنْتٍ مُقْعَدَةٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَأَذَّ. بَدَتِ الفَتاةُ حَزينَةً جِدًّا وكَئيبَةً، فَنَهَضَ «رَشيد» وأمْسَكَ



يَدَ الفَتاةِ قائِلًا: «يا لَكِ مِنْ مَلِكَةٍ مُمَيَّزَةٍ تَعْتَلي عَرْشَها وتُحَلِّق. ذَلِكَ العَرْشُ الَّذي يَتَنَقَّلُ مِنْ مَكانٍ إلى آخَر بِلا تَعَبٍ أوْ ألَمٍ، وحَوْلَكِ حُرّاسٌ يَحْمونَكِ. يا لَهَذِهِ الرَّفاهِيَّة! بَيْنَما أنا المَلِكُ أسيرُ عَلى قَدَمَيَّ اللَّتَيْنِ سُرْعانَ ما تَتْعَبانِ وتَتَذَمَّران».

وبَيْنَما هُوَ يَتَكَلَّم، كانَتْ مَلامِحُ الفَتاةِ تَتَغَيَّرُ نَحْوَ الأفْضَل، وابْتِسامَتُها تَأْخُذُ مَكانَها عَلى وَجْهِها الكَئيب، الَّذي سُرْعانَ ما مَلَأَه الفَرَحُ سَعادَةً.

عِنْدَئِذٍ، طَلَبَتِ الفَتاةُ إلى «رَشيد» أنْ يُراقِصَها ويَتَنَقَّلَ بِها. فَلَبّى الطَّلَبَ وراحا يُغَنِّيانِ ويَرْقُصانِ فَرَحًا وأمَلًا، ووالِدا الفَتاةِ يَنْظُرانِ بِإعْجابٍ إلى مُعْجِزَةِ فَرَحِ ابْنَتِهِما الَّتي كانَتِ الابْتِسامَةُ قَدْ غادَرَتْ وَجْهَها لِسَنَواتٍ.

مَرَّتْ لَحَظاتٌ بَسيطَةٌ لَكِنَّها مُفْعَمَةٌ بِالعَطاءِ والمَحَبَّة، فَشَكَرَ الوالِدانِ «رَشيد»، وقَدَّما إلَيْهِ كيسًا مَليئًا بِالحَلْوى اللّذيذَةِ تَقْديرًا لِجمالِ روحِه.

ها هُوَ «رَشيد» يَقْتَرِبُ مِنَ الوُصولِ إلى قَصْرِه، أيْ بَيْتِه، والسَّعادَةُ تَمْلَأُ قَلْبَه، فَاصْطَدَمَ كَتِفُهُ بِحَقيبَةِ طَبيبٍ كانَ يَبدو مُسْتَعْجِلًا وغاضِبًا، وكانَ يَرْتدي ثَوْبَ الطَّبيبِ ويَضَعُ السَّمّاعَةَ حَوْلَ رَقَبَتِه. ولَمّا أرادَ أنْ يَصْرُخَ في وَجْهِ الفَتى، سَبَقَهُ «رَشيد» قائِلًا: «آه، هَذا أنْتَ يا طَبيبَ المَمْلَكَة. أنا سَعيدٌ جِدًّا بِلِقائِك. لَكِنَّني مُتَعَجِّبٌ مِنْ مَلامِحِ وَجْهِكَ! هَلْ أنْتَ مَريضٌ؟ أيْنَ السَّماحَةُ في وَجْهِك؟ يَجِبُ أنْ تُعالَج! ولَكِنْ كَيفَ يَكونُ ذَلِكَ وأنْتَ مَنْ يُعالِج؟». وبَيْنَما كانَ «رَشيد» يَتَحَدَّثُ مَعَهُ بِهَذِهِ الطَّريقَة، كانَ

التَّعَجُّبُ يَأْخُذُ طَريقَهُ إلى وَجْهِهِ، ثُمَّ انْقَلَبَ إلى باسِمٍ فَضاحِكٍ. راحَ الطَّبيبُ يَضْحَكُ ويَضْحَكُ وهُوَ يَقولُ: «أَنْتَ مُحِقٌّ، أَنْتَ مُحِقٌّ. عَلَيَّ أنْ أتَذَكَّرَ دَوْمًا الرّأْفَةَ بِالآخَرين. شُكْرًا لَكَ يا صَغيري، لَقَدْ



أيْقَظْتَ فِيَّ روحَ الطَّبيبِ الحَقيقِيّ. سَأُقَدِّمُ إلَيْكَ سَمّاعَتي الغالِيَةَ هَدِيَّةً لَك».

فَرِحَ «رَشيد» بِهَذِهِ الهَدِيَّة، ووَاصَلَ سَيْرَهُ حامِلًا هَدايا كَثيرَةً وقَيِّمَةً. وبَيْنَما كانَ مُنْشَغِلًا بِها، تَعَثَّرَ بِحَجَرٍ ووَقَع، وأُصيبَ بِجُروحٍ بَليغَةٍ، جَعَلَتْهُ يَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الألَم.



أسْرَعَ النّاسُ لِنَجْدَتِهِ ونَقْلِهِ إلى المُسْتَشْفى... وهُناك، كانَ طَريحَ الفِراشِ حَزينًا وكَئيبًا وصامِتًا... وكارِهًا وَضْعَه. وما هِيَ إلّا لَحَظات، حَتّى دَخَلَتْ أُمُّهُ مُبْتَسِمَةً قائِلَةً: «ها هُوَ مَلِكي الصَّغيرُ مُسْتَلْقٍ عَلى عَرْشِه!».



ثُمَّ لَحِقَ بِها بائِعُ العِلْكَةِ هاتِفًا: «سَيِّدي المَلِك، الأمْنُ مُسْتَتِبٌّ في طَريقي، رَأيْتُ الحادِثَ فَجِئْتُ أطْمَئِنُّ إلى سَلامَتِك!».



الموضوع: الخيال، المرح، المساعدة

لا إنْسانَ لا يَحْلُم. ولَكِنْ أَنْ يَكونَ كُلُّ ما في حَياةِ الإنْسانِ
مَبْنِيًّا عَلى الأَحْلامِ والخَيال، فَهَذا أَمْرٌ غَريبٌ ونادِرٌ!
والأَغْرَبُ أَنْ تَلْمُسَ نَتائِجَ أَحْلامِكَ الطَّيِّبَة!

مؤسّسة الفكر العربي
عربي21
معايير تصنيف عربي21 وهنادا طه
ل

ISBN 978-9953-95-098-3
9 789953 950983
Book # A 1555
أصالة